دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	ملامح من التأثير المعماري الإسلامي في بلاد جنوب الصحراء الإفريقية في العصور الوسطى
المصدر:	المجلة العربية للعلوم الاجتماعية
الناشر:	المؤسسة العربية للاستشارات العلمية وتنمية الموارد البشرية
المؤلف الرئيسي:	الحواسي، عبدالله محمد
المجلد/العدد:	ع9, ج3
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2016
الشهر:	يناير
الصفحات:	85 - 102
رقم MD:	754101
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الحضارة الإسلامية ، الفنون الإسلامية، العمارة الإسلامية ، تخطيط المدن ، المدن الإسلامية ، إفريقيا
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/754101

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

ملامح من التأثير المعماري الإسلامي في بلاد جنوب الصحراء الإفريقية في العصور الوسطى

د. عبد الله محمد الحواسي (*)

للحديث عن التأثير الاسلامي والعربي في بلاد جنوب الصحراء الافريقية ، نجد من الضرورة تتبع القنوات والمنافذ التي من خلالها خرجت الحضارات العربية الاسلامية الى تلك البلاد ، اذ لامناصة من الحديث عن بلاد المغرب العربي بدء من برقة بشرق ليبيا الى غرب المملكة المغربية حاليا .

وقد كان الجغرافيون القدماء قد قسموا بلاد المغرب الكبير إلى أجزاء على أساس جغرافي محض ، فالمنطقة الأولى تمتد من طرابلس الغرب إلى بجاية أو تاهرت وعاصمتها (القيروان) وتسمى هذه المنطقة بالمغرب الأدنى ، ثم المنطقة الثانية الممتدة من بجاية شرقا إلى ملوية غربا وعاصمتها (تلمسان) وتسمى هذه المنطقة بالمغرب الأوسط ، والمنطقة الثالثة هي المغرب الأقصى ويمتد من وادي ملوية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ، وسمي بالأقصى لبعده عن دار الخلافة في الجزيرة العربية (**أحمد ، 2009م**) .

والمتتبع للعلاقـــات الثقافية والتجارية بين بلـــدان المغرب وجنوب الصحراء الافريقية ، يجدها ضاربة فـــي القـــدم أي منذ ما قبل انتشـــار الإسلام في بلاد المغرب، اذ ترجع علاقـــات ليبيا التجاريـــة مع أفريقيا إلى عصـــور سحيقة ، فقد ذكر هيرودوت (**هيرودوت ، 1886: 327**) إن ليبيا كانت على اتصال بتلك البلاد ، وتاجرت معهـــا وحصلت على الرقيق اللازم لها من جماعات كان يقوم بها ســـكان البلاد – يقصد سكان ليبيـــا – ويسمون " الجارامنتة " ، حيث يقومون بمهاجمة " التروجليته " السود مستخدمين لذلك عجلات تجرها أربعـــة أفراس .

(*) **عضو هيئة تدريس – كلية الآداب – جامعة الجبل الغربي – ليبيا .**

كما أشار أيضا إلى التجارة الصامتة التي عرفت في تعاملات معظم سكان أفريقيا ، فقد كان القرطاجيون يذهبون للتجارة مع أحد العناصر التي تعيش وراء أعمدة هرقل ، فإذا وصلوا أخرجوا بضائعهم من المراكب وصفوها على طول الشاطئ ثم يدخلون مراكبهم ، ويدخنون دخان كثيف ، فيبصر أهل البلاد الدخان ، ويأتون إلى شاطئ البحر ، وبعد أن يضعوا هناك الذهب ثمن البضائع ، يبتعدون ثم يخرج القرطاجيون من مراكبهم ، ويفحصون كمية الذهب التي جاءوا بها، فإذا رأوها توازي قيمة بضائعهم، أخذوها و انصرفوا، وإذا كانت أقل من قيمة البضائع ، فإنهم يرجعون إلى مراكبهم ويستقرون فيها ، فيرجع الآخرون ويضيفون شيئاً آخر حتى يكتفي القرطاجيون (**هيرودوت ، 1886: 327**) .

ومع ظهور الاسلام كانت قارة افريقيا قد احتضنته وانتشر بها مبكرا أي قبل فتح العراق والشام ومصر ، بل وحتى قبل ان يهاجر عليه الصلاة والسلام الى المدينة المنورة .

وبفضل شبكة الطرق الصحراوية التي تربط شمال وغرب وشرق أفريقيا ، كان أول اتصال عربي ببلاد جنوب الصحراء الإفريقية عبر ليبيا بحكم موقعها الجغرافي وكثرة الطرق المتجهة إلى الجنوب ، حيث كانت القوافل التجارية الصحراوية هي أول من حمل الثقافة العربية الاسلامية الى تلك البلاد ، فقد ذكرت المخطوطات ، بأن عقبة وصل إلى منطقة كيدال شمال مالي وأسس مدينة السوق وسكانها هم من نسل بقايا جيشه الذين تركهم هناك وأنه جد الفلان (مجهول ، د.ت : رقم 1770) و(مرحبا ، د.ت : ورقة 24) و (ابن فودي ، د.ت : ورقة 2) و(مجهول ، د.ت : رقم 97) ولم تذكر هذه المصادر ان القائد عقبة ابن نافع قد فتح احدى بلدان جنوب ليبيا عنوة .

وقد اتسم هذا التأثير بلون حضاري منظم نلاحظه في تشكيل المدن والاحياء الراقية والمساجد والمدارس وفي أسلوب التعامل حيث كان

العلماء والتجار والمثقفين يجمعون بين دعوتهم وتجارتهم بالكلمة والسلوك وحسن العلاقة والصلة بمن يتعاملون معهم فيثقون بهم ثقة كاملة حتى استطاعوا أن يدخلوا الملوك في الاسلام الذين عملوا فيما بعد على توثيق علاقاتهم بالحكام العرب وتحولت مناطقهم وبالتدريج في النهاية إلى أمبراطوريات وممالك مزدهرة تعتد بالثقافة العربية الإسلامية مثل غانا ومالي وصنغاي .

أما منطقة جنوب الصحراء الإفريقية فتمتد من سواحل المحيط الأطلسي غربا حتى بحيرة تشاد شرقا، وشمالا تحدها الواحات وبعض المدن الجنوبية لبلاد المغرب العربي، وجنوبا تحدها الغابات الاستوائية، أي بين خطي طول 17 غربا إلى 7 شرقا، وبين دائرتي عرض 6 شمالا إلى 25 شمالا ، وقد اصطلح الجغرافيون والمؤرخون والرحالة العرب والمسلمون في العصور الوسطى على تسمية المنطقة المذكورة آنفا باسم بلاد السودان أو بلاد السود .

وتفيد مثل هذه البحوث إلى إظهار الدور السلمي في نشر الثقافة العربية الإسلامية في شتى مجالاتها من خلال حركة القوافل عبر الاف الاميال ، وذلك لتأكيد روح الإسلام السمحة وقوة حضارته ، ونفي ما اشيع عنه انه انتشر بالقوة وبحد السيف ،هذا من ناحية ومن ناحية اخرى بيان أثر العلماء والتجار في الاختلاط مع الدول الافريقية لنقل الحضارات المتقدمة ونشر الأفكار المستنيرة عبر مجاهل الصحراء الكبرى ، حيث قام العلماء والتجار بدور نشط وفعال في تبادل الأفكار مع تبادل السلع ، كما كان لهم دور مهم في تطوير الأفكار وتغيير المعتقدات البالية التي كانت سائدة بين أهالي جنوب الصحراء الإفريقية .

لقد كان للعنصر البشري تأثير فعال وحضاري بين ضفتي الصحراء واستقرت العديد من الجاليات من بلدان المغرب بتمثيل رسمي في بلاد جنوب الصحراء ، أطلق عليها الرحالة ابن بطوطة اسم (البيضان) تمييزا عن السود ،

حيث كان البيضان في كل بلد صغير وكبير ولها شيخ وممثل عند القاضي والسلطان .

والجدير بالذكر ان التأثير الثقافي العربي الاسلامي في تلك المنطقة لم يكن مبكرا فالبدايات كانت متواضعة يصعب تحديدها وملاحقتها زمنيا ، خاصة أن مدن جنوب الصحراء لم تخضع في العصور الوسطى لحكومة مركزية في دمشق أو بغداد حتى يتسنى الوقوف على جهود الحكومة المركزية في نشر الثقافة العربية الاسلامية في تلك البلاد .

إن مثل هذه البحوث التي تتناول الحياة الثقافية لا تخلوا من العديد من الصعوبات الجمة الشديدة فمادتها عبارة عن نتف متفرقة بين المصادر ، فهي إما تذكر أسماء المدن كالحموي وغيره أو تدون المشهور من الأحداث مثل حجة منسا موسى التي تلقفها البكري وابن خلدون والقلقشندي ، وأن التتبع للحياة الثقافية في تلك البلاد ، أمر جدا صعب ، لأن المصادر العربية تهتم بالأحداث البارزة فقط ، وما يقض المضجع قلة المصادر التي تناولت بحثنا هذا حتى في ما يخص الحياة السياسية ، وهي في الأغلب مصادر تدخل في نطاق كتب الجغرافيا والرحلات، أما المصادر التاريخية فهي نادرة ، كما أن المؤلفات التي ألفها أفارقة من أهالي تلك البلاد جاءت متأخرة كالوزان واحمد بابا والمغيلي ومع تأخرها الزمني ، فقد جاءت المعلومات فيها شحيحة جدا فلم نستفد في هذه الدراسة مما كتبه أحمد بابا التنبكتي المتوفى في سنة 1036هـ/1627م ولم نستفد كثيرا من "تاريخ الفتاش" لمحمود كعت المتوفي سنة 1002هـ/1593م، الذي يقول عن غانا (قد بعد زمانهم ومكانهم علينا فلا يأتي المؤرخ في هذا اليوم أن يأتي بصحة شيء من أمورهم يقطع بها ولم يتقدم تاريخ فنعتمد عليه) أما السعدي المتوفى بعد سنة 1065هـ/1655م وصاحب "تاريخ السودان" فلم يقدم لنا إلا معلومات متناثرة لميله إلى مدح الشيوخ والقبور .

فإذا كانت المصادر شحيحة في بياناتها عن الحياة السياسية في تلك البلاد فكيف ستكون بياناتها عن الأوضاع الثقافية والاقتصادية ؟ والمصادر الجغرافية

نجدها تنقل من بعضها البعض فالجديد ينقل نفس البيانات من سابقه وربما بتصرف بسيط ودواليك ، فمثلا أبو الفداء في كتابه تقويم البلدان نجده ينقل ويقتبس من معجم البلدان للحموي ، فقصة المسلماني مثلا نجدها كما هي عندهم جميعا وكلهم يقول قصة مشهور ومعروفة عند الجميع !

يقول أحد المستشرقين وهو يشتكي من كتابات جغرافيي العرب حول جنوب الصحراء (وقراءة للمصادر الجغرافية العربية من القرن 10 إلى القرن 15 الميلاديين توضح أن الجغرافيين استقوا معلوماتهم من روايات شفوية متعلقة بتلك المناطق المنتجة للتبر) (**جان ،1989 : 74**) .

كما غلب طابع الأسطورة والخرافة على بعض المصادر ، ومن نجا من هذه وقع في التصوف والغلو في رجال الدين وقبورهم ، يقول سعد زغلول : "وهذا راجع إلى وقوع الأخبار تحت الأهواء الشخصية ، والذي يرجع ربما للطبيعة القبلية للعرب حيث تأخذ بالرواية التي ترضي نزعتها القبلية ، بل وتغير فيها حتى تلائم منزعها هذا " (**زغلول ، 1963 : 40**) .

ويتذمر أحمد شلبي بقوله (ومراجع البحث في هذه المنطقة وفي حضارتها قليلة جدا) (**شلبي ، 1975 : 18 – 19**) .

وذكر مستشرق أخر عن منطقة جنوب الصحراء بأن المعلومات ضئيلة جدا ولا يمكن الاعتماد على القصص الخرافية إلا بنسبة بسيطة جدا وبما تدعمه الشواهد (**جوزيف ، 1404هـ / 1984 : 47**) .

في البداية كان العلماء والتجار المتجهين الى جنوب الصحراء وعند وصولهم يكترون المنازل للسكن ولتخزين بضائعهم طيلة فترة اقامتهم هناك وكانت الاقامة تطول لعدة شهور ، فيذكر الرحالة ابن بطوطة أنه عند اقترابه إلى مدينة ايولاتن في رحلته إلى جنوب الصحراء قد كتب الى أحد الرجال ليكتري له دارا يقيم فيها ، وكانت اقامته هناك نحو خمسين يوما وكذلك هو الحال عند اقامته بعاصمة مالي فيذكر أنه كتب لكبير جماعة البيضان

ليكتري له دارا (**ابن بطوطة، 1332هـ: 223-234)** . وأحيانا ينزلون في جهة من الارض ويتجمعون لحماية انفسهم ولحفظ سلعهم ، مما يدفع بسكان جنوب الصحراء بالقدوم إلى أماكن تجمع القادمين من الشمال ، وبهذا التجمع البشري التجاري والعلمي يتكون السوق والسكن ودور العلم كما حدث بمدينة تنبكتو [*] ، حتى غدت منارة علمية وبها العديد من المساجد والمدارس على غرار الطراز الاسلامي .

يمكن القول أن العلاقات بين الطرفين لم تكن متبادلة بالمعنى الصحيح للكلمة، فأهالي جنوب الصحراء قد تأثروا ايما تأثر بما جاءهم من الحضارة العربية الاسلامية ، بينما في حين لم يتأثر اهالي الشمال بما عند الجنوبي الافريقي ، وهذا راجع إلى قوة الثقافة العربية الاسلامية وانسيابها وسهولة تلقيها ، بالإضافة إلى أنه لم تكن للإفريقي الجنوبي حضارة قوية يؤثر بها في بلدان المغرب ، ناهيك عن كون أهل الشمال قد استقروا بالجنوب افرادا وجاليات ، ولم يحدث العكس الا لاحقا لغرض الدراسة والنهل من العلوم الاسلامية أو لأداء مناسك الحج .

---

[*] **تنبكتو : تأسست على أيدي الطوارق من العرب المغاربة، أواخر القرن0 الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، فنزلوا فيها راتعين في وقت الصيف، وفي الخريف يرتحلون ثم اختاروا موقع هذه البلدة واشتهرت كمركز تجاري في الصحراء الأفريقية (السعدي،1981: 20). ومرجع تسميتها ، أن المكان الذي أنشأت عليه كان مخزناً للتجار ، تقوم بحراسته امرأة تدعى " تنبكتو" وتعنى " العجرة " في لغة الطوارق – أي العجوز – ومع مرور الزمن أطلق الاسم على المكان فأصبح علماً للمدينة . (شلبي ، 1975 : ص 195). ويخبرنا السعدي الذي ولد فيها إذ يقول" هذه البلدة الطيبة الطاهرة الزكية الفاخرة ، ذات بركة ونجعه وحركة التي هي مسقط رأسي وبغية نفسي ، ما دنستها عبادة الأوثان ولا سُجد على أديمها قط لغير الرحمن ، مأوى العلماء والعابدين ، ومألف الأولياء والزاهدين وملتقى الفلك السيار... سكن فيها الأخيار من العلماء والصالحين ، وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل بلاد من أهل مصر ووجل وفزان وغدامس وتوات ودرعه وتفلالة وفاس وسوس وبيط" (السعدي ،1981 : 20-21) .**

كان المعماري المهندس عند العرب يدرس في الجامعات ويدرس العديد من المواد فجامعة بيت الحكمة ببغداد سنة 830م كانت تدرس العديد من المواد للمهندسين منها الجبر وعلم الحيل (الميكانيكا) والرياضيات والطبيعة وبعض العلوم النظرية كالدين والحكمة .

كما كان المعماري يسمى عند العرب المهندس أو الحاسب ، ورئيس المعماريين يلقب بالإستاد او الشيخ او المعلم ، ولم يكن المهندس يباشر في بناء ما كلف به حتى يضع خارطة المبنى قبل الشروع فيه على لوح من جلد ، كما استعملوا الورق فيما بعد .

إن الجمع بين التجارة ونشر الثقافة هي إحدى خصائص الحضارة العربية الإسلامية في جميع العصور ، لأنه بجانب التجار المحترفين يظهر الفقهاء والقضاة والمعماريين ، ويصعب القطع انهم اقتصروا في نشاطهم على وظائف الدولة الرسمية ، فمهما كانت الرواتب فإنهم بلا شك كانوا ميالين الى ممارسة الاعمال التجارية المربحة ، فربما كانوا وكلاء او وسطاء لبعض الشركات .

تخطيط المدن :

إن من ابرز مظاهر التأثير اعتماد مدن جنوب الصحراء لأنماط تخطيط المدينة العربية الاسلامية بأسوارها ومساجدها وشوارعها وازقتها وسوقها ، وكذلك من حيث اتباع طرق البناء سواء بالطين او بالحجارة حتى كادت تكون مطابقة لمدن ومدارس بلدان المغرب حتى يشعر المتعلم وكأنه في مدارس طرابلس او القيروان أو فاس أو جبل نفوسة، فتجد نفس البناء ونفس طريقة التنسيق (**الحواسي، 2013 : 211**) .

وهذا يعكس كثرة المعماريين والمدرسين وكثرة الطلاب من جنوب افريقيا الذين درسوا في مدارس بلدان المغرب الكبير ومدى تأثرهم بها ونقلهم ما تعلموه وشاهدوه الى بلدانهم ، فنجد العديد من المدن في جنوب الصحراء سميت على مدن أو مراكز علمية في المغرب او الجزيرة

العربية مثل تادمكة [*] ، وكيروان نسبة إلى القيروان أو تايفا يقصدون الطائف (**Gouilly, Alphonse1952, 202-220**) .

يقول أحد المستشرقين (ان الاسلام قد بدل ظاهرة الحياة في البقاع التي دخلها منذ امد بعيد فنجد في مدينتي تنبكتو وجاو الشوارع ولو أنها ضيقة والبيوت ذات الاسطح العالية ، والابواب الضخمة وهي تشبه مظاهر المدن في الشمال الافريقي) (**ديشان ، 1956 : 144**) .

وعندما زار الحسن الوزان مدينة تنبكتو وصفها بأن (بيوتها مصنوعة من أعمدة مطلية بالطين مع سوق ، ويقع في وسط المدينة الجامع المبني بحجارة منحوتة من طين الكلس على يد المهندس الساحلي كما كان هناك قصرا بناه المهندس نفسه ، وبها كثير كم دكاكين الصناع والباعة ، ومن عادة النساء وضع الحجاب على وجوههن بإستثناء الاماء) (**الزياتي ، د.ت : 539**) .

وهنا وجب ان ننوه الى ان العلماء والمهندسين قد وجدوا الرعاية التامة من جانب الدولة التي وفرت لهم كل احتياجاتهم ومنحتهم مكافئات مالية كبيرة ، بذلك توافد العديد من العلماء والمهندسين والمدرسين من جميع انحاء العالم خصوصا من بلدان المغرب والاندلس للمساهمة في النهضة التي شهدتها مدن جنوب الصحراء الافريقية (**الحواسي ، 2013 : 206**) .

---

[*] **تادمكة : اشبه بلاد الدنيا بمكة وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب وهي احسن بناء من مدينة غانا وكوكو ، اهلها مغاربة مسلمون وهم ينتقبون كما ينتقب مغاربة الصحراء ، ودنانيرهم تسمى الصلع لانها ذهب غير مختوم ، تبعد المسافة بين تادمكة والقيروان حوالي واحد وسبعون يوما ، ومنها الى قسطيلية اربعة عشر يوما ومن قسطيلية الى القيروان في سبعة ايام (البكري ، د.ت : ص182) .**

ومن شغف ملــوك وسلاطين ممالك جنوب الصحــراء بالعلم والعلماء ، ماقام به ســلطان مملكة مالـــي الاسلامية السلطان منسا موسى [*] عند عودتــه من البلاد المقدسة وأدائه لمناســك الحج ، حيث جلب معــه أحــد أشــهر المهندسين المعماريين ويدعــى المهندس إبراهيم محمد الســاحلي المعروف بالطوينجي [**] ، للاستعانة به في بناء دار الإمارة بمالي ، والمساجد الكبرى على النمط المعماري العربي الحديث ، واليه يرجع الفضل في ادخــال البناء بالآجر في جنوب الصحراء الافريقية ، يقول ابن خلدون عن القصر الذي بناه المهندس المعماري الساحلي (أطرف ابراهيم الطوينجي السلطان منسا موسى ببناء قبة مربعة الشكل استفرغ فيها اجادته ... وأضفى عليها من الكلس ، ووالى عليه من الاصباغ المشبعة فجاءت من اتقن المباني ووقعت من السلطان منسا موسى موقع الاستغراب ... وكافأه بأثني عشر الف من مثاقيل الذهب ...) (**ابن خلدون ، 1986 : 201**) .

---

[*] **منســا موسى : من اشهر ملوك وســلاطين دولة مالـــي الاســلامية ، واعظمهــم علــى الاطلاق ، وعــرف ايضا بأسم ((كنكن موسى)) امتد حكمــه من 1307م الى 1322م ، شهدت مملكة مالــي ازهى عصورها فـــي عهـــده خصوصــا التطـــور الاقتصــادي والعمــراني ، ولــه حجتــه الشهيرة التي وزع فيها اطنــان من الذهب الخــالص بمصــر وبلاد الحجاز .**

[**] **المهندس ابراهيم الساحلي : الذي زار قبرة الرحالة ابن بطوطة فــي رحلتــه الــى جنــوب الصحراء، شاعر ومهندس مشهور وترجع بعض المصادر اصل عائلته الى غرناطة ، بنــى قصر منسا موسى واشرف على مساجد تنبكتو وجاو وجني ، واستقر به الامر في تنبكتــو وتزوج منها ودفن فيها ((اتخذ اماء للتسري من الزنجيــات ورزق مــن الجوالــك اولادا كالخنافسة)) (ابن الخطيب ، 1973 :217) . و في وصف ابن الخطيب الذي لــم يــزر تلك البلاد للنساء الجنوبيات تحامل كبير ، فهو يرى ان الساحلي من غرناطــة ويجــب ان يدفن في بلاده فذكر ماذكر ، ولم تكن كل نساء تلك البلاد زنجيات فقد وصفهم غيره (جوار حسان الوجوه بيض الالوان ، منثنيات القدود ، لا تنكسر لهن نهود ، لطاف الخصــور ... المستمتع بإحداهن كأنه يتمتع ببكر) (البكري ، د.ت : 158) .**

كما أشرف المهندس نفسه على عمارة مساجد جاو وتنبكتو وادخل البناء بالطوب المحروق ، كما بنى قاعة الاجتماعات بقصر منسا موسى من الحجر والجبس وزخرفها بالخشب المطعم بالذهأب والفضة ، وادخل الى دولة مالي نظام السقوف المسطحة للمنازل والمآذن الهرمية الشكل (**طرخان ، 1973: 154 – 155**) .

وهو الذي بنى مسجد جني [*] العتيق على غرار المسجد الحرام في مكة المكرمة ، وكانت مدينة جني مثالا لمدينة تنبكتو فقد ضمت العديد من الجامعات والمدارس والمرافق الاخرى فعندما داهما الاستعمار الفرنسي وجد بها مائة وخمس عشرة مدرسة فلم يبق فيها على مدرسة واحدة (**قداح ، 1969 : 159–160**) .

ولم يكن جلب السلطان منسا موسى للمهندس الساحلي إلا بعد ان رأى العمارة في بلدان المغرب ومصر والجزيرة وكل البلاد الاسلامية التى زارها في رحلة حجه الشهيرة ، وسعى إلى أن تكون دولة مالي مثل البلدان العربية في قصورها ومساجدها وكل مبانيها .

المساجد والمدارس والجامعات :

لم يقتصر بناء المساجد والمدارس على السلاطين والملوك فقط ، بل كان العلماء والتجار والأثرياء يبنون المساجد التي هي مقر التدريس ، بالاضافة الى الكتاتيب والمدارس (**السعدي ، 1981 : 11**) .

---

[*] **جني : تقع الى الجنوب الغربي من تنبكتو محاطة بسور عظيم له ثمانية أبواب قال عنها السعدي الافريقي الجنوبي ((مدينة ميمونة مباركة ذات سعة وبركة ورحمة جعل الله ذلك في أهلها سعة وجبلة وطبيعة أهلها التراحم والتعاطف والمواساة)) (السعدي ، 1981 : 12**) .

فجامع سنكري [*] الشهير الذي يعد جامعة ومنارة علمية ، وفد اليه العلماء وطلاب العلم من داخل مالي وخارجها ، وتخرج منه العديد من علماء وفطاحلة العلم في جنوب الصحراء كان لهم الدور البارز في نشر الثقافة الإسلامية في باقي قرى وارياف جنوب الصحراء الافريقية .

وكانت المساجد تبنى حسب الكثافة السكانية ، ففي الحي الغدامسي[*] مسجد كبير والعديد من المدارس لتحفيظ القران وعلوم الحديث (**يونس ، 1977 : 15**) .

وغصت مدينة تنبكتو بالمدارس فضمت مائة وثمانون مدرسة ، وصارت المساجد منتشرة في جميع ارجاء البلاد ، واشتهر عن السلطان منسا موسى كثرة بنائه للمساجد فكان يبني مسجدا اينما ادركته صلاة الجمعة وهو خارج البلاد في اسفاره أو حروبه ، وكان يشرف على بنائها مهرة من المهندسين المعماريين المتخصصين (**السعدي ، 1981 : 56 – 63**) .

وكانت المدارس تبنى على غرار مدارس بلدان المغرب والجزيرة ، حيث أضيفت للمدارس ، أماكن سكن الطلاب والوافدين ، منها مثلا مدرسة (زاغة) التي شاهدها وزارها الرحالة ابن بطوطة وقال عن روادها (أنهم قدماء في الإسلام ، ولهم ديانة وطلب علم) (**ابن بطوطة ، 1332هـ : 236**) .

كما أن جميع المعارف بما فيها الهندسة المعمارية كانت تدرس في مدارس جنوب الصحراء الافريقية باللغة العربية ، وليس أدل على ذلك من

---

[*] سنكري : جامع بنته سيدة ثرية على نفقتها الخاصة تعرف بهذا الاسم سنكورية (السعدي ، 1981: 56-57) .

[**] لحي الغدامسي : نسبة إلى مدينة غدامس الليبية أرقى الأحياء بتنبكتو ، في موقعه ونظافته وتنسيق شوارعه ، اتخذته فيما بعد جيوش المنصور الذهبي عند غزوها لجنوب الصحراء الافريقية دارا لاقامتهم بعد ان طافوا المدينة ولم يجدوا أفضل منه .

ظهور علماء من تلك البلاد تركوا لنا العديد من الكتب والمؤلفات باللغة العربية ، تضمنت في طياتها الحديث بشكل مباشر أو غير مباشر عن الهندسة الاسلامية في العمارة ببلاد جنوب الصحراء الافريقية ، بالاضافة الى ان جميع المخطوطات الموجودة بمكتبة احمد بابا بتنبكتو وغيرها مازل معظمها مكتوبا باللغة العربية او بلهجات عربية مغاربية ، ولم تقتصر اللغة العربية على التعليم والتعلم فقط ، بل اصبحت لغة التخاطب المعماري والتجاري ، فقد استعمل سكان جنوب الصحراء الافريقية الارقام والمعاملات والمقاييس والاوزان العربية بشكل واسع (**الحواسي ، 2013 : 217**) .

الخاتمة :

إن انتشار الثقافة العربية الإسلامية في غرب افريقية وبتلك السرعة والسهولة اللتين تمت بهما جاءت ظاهرة فريدة من نوعها في التاريخ ، فقد انتشرت الثقافة العربية الاسلامية في بلاد لم تصل إليها جيوش عربية فاتحة ، ذلك هو الحال في الحبشة وشرق إفريقيا وغربها ، والصين وشبه جزيرة الملايو (ماليزيا واندونيسيا وملقا) وجزر الهند الشرقية والفلبين وغيرها ، ففي جنوب الصحراء الافريقية سبق انتشار الاسلام وثقافته قيام الدولة وهو على عكس ما حدث في بلاد المغرب مثلا فقد سبق الفتح الاسلامي قيام الدولة .

ومن الثابت أن الثقافة الاسلامية والعربية وصلت إلى هذه البلاد بالتجار والتجارة ، والدعاة والفقهاء والعلماء والمهندسين وغيرهم ، الدليل الذي ينفي عن الإسلام أية شبه ، كما ان الذين حملوا على عاتقهم نشر الحضارة العربية الاسلامية، لا تربط بينهم رابطة إلا رابطة الإيمان بالله وشعار أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ولم تكن لهم هيئة تشرف على جهودهم وتوجهها، أي أن الدول العربية والاسلامية لم يكن فيها جهاز رسمي خاص بالدعوة ، ولم تقم الدول العربية بأعداد الدعاة وإرسالهم

للتبشير بالثقافة العربية الاسلامية ونشرها بين شعوب الأرض ، كما هو الحال في المسيحية وإنما تُرك موضوع التأثير للأفراد خاصة التجار ومن وهب نفسه للدعوة إلى الله فهم الذين نهضوا بهذه الأمانة في البلاد التي وصلوا إليها وحلوا فيها وذلك بوحي من ضمائرهم وحماستهم وقوة تأثير حضارتهم ، وطلبا لحسن الثواب .

وإذا كان هذا هو أسلوب انتشار الثقافة العربية الإسلامية فإن هذا الانتشار اوجد رباطا قويا بين الشعوب التي دانت به على اختلاف أصولها وعناصرها ، ذلك إن الإسلام لم يكن مطلقا مجرد عقيدة وطقوس تؤدى فحسب وإنما هو أسلوب للحياة أيضا وتخطيط للأمة والمجتمع ودستور للإنسانية في أسمي صورها .

فلقد تأثر الافارقة الى ان سعى ملوكهم وبكل ما أوتوا من قوة ومال الى تقليد سلاطين وملوك وامراء البلاد العربية والاسلامية ، خصوصا في بناء قصورهم ومساجدهم وتخطيط مدنهم وازقتها وشوارعها، بل سعى كل من وصل الى سدة الحكم من الافارقة الى زيارة البلدان العربية خصوصا في موسم الحج ، لتأثرهم بها وتقليد ما شاهدوه ، فانتشرت اللغة العربية وصارت لغة التدريس في المدارس والجامعات ولغة التعامل في البيع والشراء ولغة المصطلحات القياسية الهندسية ، خصوصا مع انتشار استخدام الآجر والطوب المحروق الذي أدخله المهندسون العرب إليهم .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات:

1 – **بن فودي، محمد بن عثمان :** نسب الفلان ، النيجر : نيامي ، مخطوط ، معهد البحوث في العلوم الإنسانية ، رقم .2086

2 – **مجهول :** مكتوب في أن عقبة بن نافع هو جد الفلان ، النيجر : نيامي ، مخطوط، معهد البحوث في العلوم الإنسانية ، رقم 97.

3 – **مجهول :** خبر السوق ، تنبكتو : مخطوط، مركز احمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية ، رقم 1770.

4 – **مرحبا، محمد محمد المفتي :** التاريخ الخاص بالتواتر ، النيجر : نيامي ، مخطوط ، معهد البحوث في العلوم الإنسانية ، رقم 150 .

ثانياً: المصـــــادر:

5– **البكري، أبوعبد الله :** المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ، القاهرة : دار الكتاب الاسلامي ، د.ط ، دت .

6 – **ابن الخطيب :** لسان الدين ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عدنان، القاهرة : د.ط ، 1973م ، ج1 .

7 – **الزياتي، الحسن الوزان :** تاريخ وصف افريقيا ، تحقيق مصطفى حميدة ، السعودية : جامعة الامام محمد بن سعود، د، ط ، د، ت ، القسم السابع .

8 – **السعدي، عبد الرحمن :** تاريخ السودان ، باريس : وقف على طبعه السيد هوداس وتلميذه بنوه د. ط ، د.ت ، 1981م .

9 – **ابن بطوطة، محمد بن عبدالله :** تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، القاهرة : المطبعة الخيرية ، د. ط ، 1332هـــ ، ج.2

10- **ابن خلدون، عبد الرحمن :** العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، بيروت، د. ط ، 1986م .

ثالثاً: المراجع (العربية والمعربة وغير المعربة والرسائل العلمية):

11- **أحمد، علي :** مظاهر التعريب في دول المنطقة العربية في العصور الوسطى ، دمشق ، وزارة الاعلام ، 2009 م .

12- **الحواسي، عبد الله محمد :** التواصل الثقافي والتجاري بين حواضر المغرب العربي والسودان الغربي ، لبنان ، رسالة دكتوراه غير منشورة، 2013م .

13- **زغلول، سعد :** فتح العرب للمغرب بين الحقيقية التاريخية والاسطورة الشعبية ، الاسكندرية ، مقال بمجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، العدد16 ، 1963م .

14- **شلبي، أحمد :** موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975م ، ج6 .

15- **طرخان، ابراهيم علي :** دولة مالي الاسلامية ، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1973م .

16- **قداح، نعيم :** افريقيا الغربية في ظل الاسلام، مراجعة عمر الحكم كوناكري، الجزائر : ، 1969م .

17- **يونس، محمد المبروك :** تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية الافريقية، الزاوية : مطابع الوحدة العربية ، 1977م .

18- **جان، ديفيس :** مشكلة ملكية المناجم في افريقيا الغربية من القرن الثامن الى القرن السادس عشر الميلاديين ، تعريب عبد الرحيم بن جادة، المملكة المغربية : مجلة كلية الاداب بفاس ، عدد 5 ، 1989م .

19- ديشان، هوبير : الديانات في افريقيا السوداء ، ترجمة احمد صادق ، مصر، 1956م .

20- جوان جوزيف : افريقيا السوداء ، ترجمة مختار السويفي ، القاهرة : دار الكتاب الاسلامية ، 1404هـ / 1984م .

21- هيرودوت : تاريخ هيرودوت ، ترجمة حبيب بسترس ، (د.ط ، 1886م) .

22- Gouilly, Alphonse : L'islam dons L'afrique occidentole Frono Paris 1952.